اسم و لقب الأستاذ: وافيه حملاوي

المادة: مناهج دراسة الفلكلور

المستوى: أولى ماستر

التخصص: أدب حديث ومعاصر

المحاضرة الثالثة: المنهج التاريخي الجغرافي

ترجع الأصول النظرية للمنهج التاريخي الجغرافي أو المنهج الفلندي إلى منتصف القرن التاسع عشر، الذّي نشطت فيه دراسة ثقافة المستعمرات والمناطق الشبيهة بالمستعمرات في الشرق الأدنى، وفيه تقدم الاستشراف بشكل ملحوظ، وهو ما كشف عن كثير من مظاهر التشابه في ظواهر ثقافية مختلفة بين أوروبا وغيرها من البلدان الشرقية.

يُعد المنهج التاريخي الجغرافي أحد المناهج المستخدمة في دراسة الفولكلور، حيث يهدف إلى تتبّع العناصر الثقافية الشعبية، مثل (الحكايات، الأساطير، الأغاني) عبر الزّمن والمكان لفهم أصولها وتطورها وانتشارها. يجمع هذا المنهج بين التّحليل التاريخي (دراسة التغيرات عبر الزّمن) والتّحليل الجغرافي (دراسة الانتشار المكاني)، ممّا يساعد على تحديد كيفية تشكل العناصر الثقافية وتفاعلها مع البيئات المختلفة.

- **نظرية الاستعارة:**

يرجع المنهج التّاريخي الجغرافي في بداياته إلى "مدرسة الاستعارة"، والسبب في هذه التسمية يعود إلى فكرة تشابه مواضيع الحكايات في العالم، لا يرجع إلى قرابة الشعوب و إنّما إلى الصّلات التاريخية الثقافية بينها، أي إنّ التّشابه حدث عن طريق الاستعارة، ومن هنا عُرفت بـ " نظرية الاستعارة ".

ورائد هذه المدرسة هو "تيودور بنفى" (Theodor Benfy) المستشرق الألماني، حيث إنّه سنة (1859)، نشر ترجمة لمجموعة من الحكايات الهندية التّي ترجع الى القرن الثالث الميلادي تحت عنوان: اَلْبَنْتَاشَتِنْتَرَا. وخَلُص إلى أنّ "الهند القديمة " هي الأصل والمنبع الذّي أمدَّ الشعوب الأوروبية بمادة الإبداع الشّعبي؛ فمن الهند رحلت الحكايات الأسطورية - بالشكل الشّفوي أو المكتوب - إلى فارس والجزيرة العربية. ثمّ كان للعرب دور كبير في نقلها من الشّرق إلى الغرب. وفي إسبانيا ترجم العرب واليهود هذه الحكايات الأسطورية إلى اللغة اللاتينية لغة العلم والأدب في أوروبا في العصور الوسطى. ثمّ انتشرت النّصوص اللاّتينية في أنحاء أوروبا الكاثوليكية وترجمت إلى اللّغات الأوروبية القومية (الفرنسية والإيطالية والألمانية والبولندية...)

لقد وضّح (تيودور بنفى) خطّ سير الحكايات الهندية – تاريخيا وجغرافيا- وصولاً إلى الصورة العربية لها في كليلة ودمنة، ثمّ التّرجمات الأوروبية لكليلة ودمنة فيما بعد، إذن تتبّع ارتحال مواضيع الحكايات، هو ما جعل هذه النظرية تأخذ تسميات أخرى هي: نظرية الموضوعات الراحلة أو المتحولة أو نظرية الروايات المتنقلة وأخيرا نظرية الهجرة.

تعّرضت هذه المدرسة إلى كثير من الانتقادات منها :

- ✓ افتقار الكثير من ممثليها إلى التحليل الدقيق للأحوال التاريخية المادية التّي تؤدّي إلى تأثير ثقافة قومية على أخرى .
- ✓ إنكار -الغُلاة منهم - وجود آداب شعبية قومية، وهذه مبالغة واضحة، بالإضافة إلى أنّ منهج المقارنة نفسه كان ضعيفا.

- **المدرسة الفنلندية :**

اتخذت نظرية الاستعارة شكلا جديدا أكثر تطوّرًا مع المدرسة الفنلندية والتّي جاءت بـ: "المنهج التاريخي الجغرافي".

يرجع تأسيس هذه المدرسة سنة 1907 إلى (كارل كرون) و(فون سيدوف) السويدي و (أولديك) الدّنماركي.

يتكون المنهج التاريخي الجغرافي من حيث التسمية من شقين اثنين هما:

-الشق التاريخي.

-الشق الجغرافي.

أمّا الشق التاريخي فيتعلق بتحديد التّسلسل التاريخي للحكايات الشعبية ذات الموضوع المشترك، وأما الشق الجغرافي فيتعلق بتحديد التّوزيع الجغرافي لانتشار الروايات المختلفة لحكاية شعبية معينة.

أي إنّ المنهج التاريخي الجغرافي يبحث في نشأة الحكايات الشعبية وانتشارها من خلال دراسة الحكايات الشعبية المتشابهة، ولا يكون ذلك إلا بجمع الروايات المختلفة للحكاية الشعبية الواحدة.

لقد أوضح (ريتشارد دورسون) في كتابه (نظرية الفولكلور المعاصرة) أنّ المنهج التاريخي الجغرافي، يرى أنّ الحكاية التّي توجد لها مئات الروايات الشّفوية لابد وأنها قد نشأت في زمان ومكان محددين عن طريق عملية اختراع إرادية واعية، وهذا ما يترتب عليه ارتحال هذه الحكاية من مكان الاختراع في شكل دوائر، تتّسع باطّراد، حيث يشبه انتشار الحكاية الشّعبية الموجات الآخذة في الاتّساع، كما هو الشأن عندما نرمي حجرا في بحيرة فترتسم دوائر عديدة تأخذ في الاتساع شيئا شيئا.

ومن أهم عوامل هذا الانتشار: التجارة والسفر، والترجمة عن طريق الاطلاع على مختلف النصوص المخطوطة والمطبوعة.

- **<u>خطوات المنهج التاريخي الجغرافي:</u>**

ذكر (ريتشارد دورسون) في كتابه (نظريات الفولكلور المعاصرة) أنّ الباحث في التراث الشعبي المقارن، مفروض عليه كثير من الالتزامات الشّاقة ويُمكن إجمال هذه الخطوات فيما يختص بدراسة الحكايات الشعبية فيما يلي:

1- اختيار الحكاية الشعبية موضوع البحث.
2- جمع نصوص الروايات المختلفة لهذه الحكاية، سواء كان ذلك من التراث الشفوي أو التراث المكتوب.
3- تحليل الحبكة الأساسية للحكاية إلى وحدات أو عناصر أساسية.
4- إعداد جداول النسب المئوية لعدد مرات ظهور كل عنصر على حدة في منطقة معينة.
5- إعداد خرائط تبين التّوزيع الجغرافي للعناصر الأساسية للحكاية الشعبية.
6- تقييم التسجيلات الأدبية المبكرة.
7- تحديد قدم عناصر الحكاية الشعبية.
8- تحديد الطّراز المنشئ الذّي انبثقت منه جميع روايات الحكاية الشعبية.
9- تحديد نقطة البدء الجغرافية.
10- تحديد الدروب التاريخية لارتحال الطّراز المنشئ.

- **<u>الانتقادات الموجهة لهذا المنهج:</u>**
  - ✓ ثمة صعوبة بيّنةٌ في الوصول إلى معرفة الطّراز المنشئ.
  - ✓ عدم إمكانية -وهذا في أكثر الحالات -تحديد دروب ارتحال الطراز المنشئ التاريخية، ونقطة بدئه الجغرافية.

على الرغم من كل الانتقادات الموجهة للمدرسة الفلندية، فإنّنا نعترف بأنّها بتطبيقها لمنهجها التاريخي الجغرافي، قد أحدثت نقلة نوعية في الدراسة الفولكلورية، من الدائرة الميتافيزيقية والفلسفية إلى دائرة الواقع الملموس عن طريق الدراسة الميدانية. ولا يمكن إنكار ما قدّمته هذه المدرسة من نتائج قيّمة فيما يتعلّق بتحديد بعض دروب الارتحال الجغرافية لبعض عناصر التراث الشّعبي.